

العراق ولبنان.. لم يبق الشعور المذهبي فاصلا

المنابر الحسينية توصي بالصبر على الفساد وتردي أحوال البلاد



في العراق ولبنان تتشابه الأحوال

في هذا الزمان هو السيد علي خامنئي، وأن يغض العراقيون الطرف عن عبث الميليشيات الإيرانية، والسكوت عن تصريحات السفير الإيراني عن العراق وكأنه محمية له، والسكوت عن رفع صور خميني وخدامنئي، كل هذا، أما حقوق الوطن والمواطن لا تعني شيئا.

لقد كسرت مظاهرات العراقيين هبة المرجعية الدينية، على الرغم من سطوتها لسته عشر عاما، والمرجعيات وأهل العمامة يبيعون ويشترون بالعراق، كذلك كسرت مظاهرات لبنان سطوة حزب الله، ولم يعد عز المقاومة والقوة المسلحة يشكل شيئا في نفوس اللبنانيين.

عبرها الهيمنة على المزاج العراقي، وتحولته إلى طقوس دينية، فالعديد من خطباء المنابر الحسينية يوصون بالصبر على الفساد وسوء الخدمات وتردي الأحوال البلاد، وذلك من أجل المشي إلى كربلاء وإظهار الحزن المتواصل على الحسين.

غير أن هذا الأمر لا يستمر طويلا، فلنأخذ حاجاتهم ومتطلباتهم، ما لا يمكن أن يتفوقا بحرية تادية الطقوس الدينية، أو بالشعور الطائفي يمكن السكوت عن الاحتلال الإيراني، والقبول بكلمات أمين عام حزب الله حسن نصرالله "إن قائدنا وحبيبتنا وحسيننا

هذه الأيام، مع ذلك تظاهر الشيعة مع بقية اللبنانيين، وكسر حاجز قدسية حزب الله، على أنه الحزب المقاوم لإسرائيل، وظهرت شعارات تشير إلى حسن نصرالله بالاسم، وإلى فساد كتلة النيابية، بينما الأبقاق الإيرانية، كفضائية "العالم" و"المباشرين"، تعتبر المظاهرات مؤامرة مدعومة من السفارات، وهذه التهمة نفسها وجهت للمتظاهرين الشباب في العراق.

يختلف الوضع في العراق، من ناحية تأثير رجال الدين الشيعة، ومن ناحية وجود المناسبات الدينية، التي استطاعت الأحزاب الإسلامية الشيعة

بشكل سعي ضد التظاهرات اللبنانية لإحباط مشاركة الشيعة فيها.

لم يستطع حسن نصرالله، وهو التابع لولاية الفقيه بطهران، وحزبه كجزء من الحرس الثوري الإيراني، أن يخطئ بتأييد واحترام شيعة لبنان ككل، بل كانت جماهيريته، بين الشيعة، ناتجة عن دوافع مادية محضة، من الرواتب والعناية الطبية والتعليم إلى غير ذلك، التي يستفيد منها سكان الضاحية الجنوبية الشيعية ومناطق الشيعة الأخرى، وهذا يعد سببا لطاعة الأتباع في ظروف لبنان الحرجة، والتي تثار عليها اللبنانيون في التظاهرات خلال

لم تمض أيام على المظاهرات العراقية العارمة، والتي غيرت المعادلات السياسية ووضحت الانتماء للوطن قبل كل شيء، حتى انفجرت المظاهرات اللبنانية. والموقف من المحاصصة المذهبية والحزبية يكاد يكون واحدا، فقد طغت المظاهرات على بغداد وبقية مدن العراق الجنوبية والوسطى في الأول من أكتوبر الجاري، وستعود، حسب الأنباء المتداولة من لجان تنسيق المظاهرات، في 25 من الشهر.

زيد بن رفاعة

مقلما هو الحال مع شيعة العراق. كان محمد حسين فضل الله، المتوفى السنة 2010، مثلا، بدأ سياسيا مع حزب الدعوة الإسلامية، العابر للحدود الجغرافية ثم صار فقيها لحزب الله، ثم استقل عنه بعد وفاة الخميني، والسبب على ما يبدو ليس تقاطعا مع حزب الله والسياسة الإيرانية، وإنما لأمر ذاتي، وهو الطموح إلى المرجعية، خاصة وأنه يعتبر نفسه إذا لم يكن أعلم من خليفة الخميني علي خامنئي فهو قطعاً موازي له، ولهذا استقل عن المسار الإيراني واتجه إلى المرجعية اللبنانية، مع وجود فقهاء آخرين، لم يتورطوا مع حزب الله لا في التأسيس ولا في التأييد، مثل آل الأمين مثلا.

أما المجلس الإسلامي الشيعي، فبعد أن كان مؤسس ورئيسه موسى الصدر (انتهى بليبيا 1978)، ثم نائب رئيسه محمد مهدي شمس الدين، المتوفى سنة 2001، لا يجمعها جامع مع ولاية الفقيه ولا مع السياسة الإيرانية، صار هذا المجلس بعد أن تولى النيابة فيه عبد الأمير قبلان مؤيدا لحزب الله، بل منفذا لما تفرضه السياسة الإيرانية، وقد حصل أن أعفى السيد علي الأمين من منصبه كقاض شرعي لأنه اعتبر حزب الله لا يمثل شيعة لبنان، إنما يمثل سياسة إيران.

لم يظهر بلبنان مرجع مؤثر بين الشيعة بعد السيد محسن الأمين، المتوفى سنة 1953، الذي كان مرجعا للشام بالكامل، وله موقف مشهود من الممارسات في يوم عاشوراء، وقبله أو زامنه المرجع عبد الحسين شرف الدين المتوفى عام 1957، ومن بعدهما ظهر موسى الصدر، الذي قدم من إيران لفرص سياسي، وبدأ بتأسيس ما عرف بحركة المحرومين، ومنها نشأت ميليشيا أمل، التي يرأسها الآن نبيه بري، وشاركت

ما بين لبنان والعراق تشابه في الأحوال، فالمحاصصة الطائفية والحزبية تكاد تكون واحدة، والمعاناة من الهيمنة الإيرانية واحدة أيضا، وإذا كان لبنان ماسورا بميليشيا "حزب الله"، وتطله عمارة واحدة هي عمارة حسن نصرالله، فإن العراق يبرز تحت وطأة عشرات الميليشيات التي تشكل ما عرف بالمشد الشعبي، والغالب منها تابع لولاية الفقيه الإيرانية، وأن قسما منه صار يسمّى المقاومة الإسلامية، لشرعة التبعية المباشرة لفيلق القدس وقائده قاسم سليماني.

كسرت مظاهرات العراقيين هبة المرجعية الدينية، كذلك كسرت مظاهرات لبنان سطوة حزب الله، ولم يعد عز المقاومة يشكل شيئا في نفوس اللبنانيين

غير أن أهم ما يختلف به الحراك اللبناني عن الحراك العراقي، هو وجود المرجعية الدينية، التي مازالت مسومة في تاييد أو رفض أداء الحكومات، منذ عام 2003 وحتى يومنا هذا، بينما يخلو لبنان من مرجعية مؤثرة، على شيعته، تحدد مسارها السياسي، ووجود التدخل الإيراني، عن طريق حزب الله، الذي تأسس بفتوى أو أمر من الخميني نفسه (في بدايات الثمانينات من القرن الماضي)، لم يترك شخصية فقهية مؤثرة في الوسط الشيعي اللبناني،

تاريخ تركيا العنصرية في مكر التاريخ

في الأناضول جزءا من القومية التركية، أي كان يجب تتركبهم.

ورغم أن انتشار القومية بين العناصر في الدولة العثمانية كان يعزى إلى الثورة الفرنسية وتحريض الدول الأجنبية للثورة في الدولة، فإنه يرى أن السبب الرئيس في هذا كان عنصرية الدولة العثمانية، والتي حاولنا شرحها أعلاه. ويمكن القول إن تشبث الروم والصرب والبلغار والأرمن بالفكرة القومية هو رد فعل ضد عنصرية قبيلة قاي. ولو أنه أمكن أن يتحقق بنجاح تطوير العملية، التي بدأت بـ"ميثاق العهد" الذي يشبه الوثيقة البريطانية "مانغا كارنا"، لربما كان مصير الدولة العثمانية مختلفا.

لم يكن وعي القومية التركية كافيا بحيث يشكل وحدة، لذا كانت هناك حاجة إلى مادة أقوى. تم العثور على المادة المطلوبة في الدين، الإسلام

منذ عصر الاستبداد، كانت هناك حركة سكانية مكثفة في الدولة العثمانية، فحين كان السكان المسلمون المقيمون في الأراضي التي فقدتها الدولة يحاولون الفرار باتجاه تركيا من ناحية، كان هروب غير المسلمين من تركيا يتسارع بسبب ضغط الدولة عليهم إلى جانب ضغط الشعب، من ناحية أخرى. وبحلول عام 1914 تراجع نسبة السكان المسيحيين في تركيا من 40 بالمائة إلى 20 بالمائة. ووفقا لما نقله شرنق آق تورك فقد حدثت مذبحة كبرى ما بين عامي 1914 و1924 إن انخفضت نسبة المسيحيين المتبقية، التي كانت تبلغ 20 في المائة، إلى 2 بالمائة خلال تلك السنوات، وهكذا بدأت تركيا تتغير إلى بنية متجانسة من الناحية الدينية على الأقل.

الأسرة الحاكمة، وتم الكفاح ضدهم. في الوقت الذي تم فيه إنشاء الدول القومية وبدأت الشعوب الواقعة داخل إطار حدود تم تعيينها تشارك في الحكومة بطريقة ما، ناضلت الأسرة الحاكمة العثمانية مع فكرة أن الإدارة يجب أن تكون مشتركة. إنني أسميها عنصرية. فكيف يعرف

العنصرية من يعترضون على ذلك؟ مع ضياع نفوذ الأسرة الحاكمة العثمانية تماما، جذبت العنصرية القديمة نفسها في شكل القومية التركية، وسرعان ما راجت وعاشت بعد فترة وجيزة من إعلان المشروطية الثانية. ولكن كانت هناك مشكلة، إذا اعتبرنا "الميثاق العملي" تصورا جغرافيا؛ فإن عدد السكان الذين يعتبرون أنفسهم أنهم أتراك في هذه المنطقة الجغرافية أقل ممن لا يعتبرون أنفسهم هكذا. وحتى لو اعتبرنا تعريف المرء نفسه بأنه تركي، "وعني القومية التركية"، فإنه يكاد يكون من المستحيل أن نقول إنه "وعني الأمة التركية". فقد كان وعي الأمة التركية عبارة عن زعم طرحه عدد محدود من المثقفين اليهوديين.

لذلك كان الحفاظ على الدولة المقدسة على قيد الحياة يستلزم إنشاء أمة تركية تقوم عليها، والوعي الخاص بها. ألا يقول بنديكت أندرسون أيضا إن الأمة مجتمع سياسي مُخْتَلَفٌ بسماواته، ومفقد بخصائص وحدود معينة، ويعتقد أنه مهيم في إطار هذا القيد، تم إيجاده وإنشاؤه في هذا الإطار؟ إن تصور أن البنية السياسية التي تم بناؤها وتشكيلها وكأنها كيان حقيقي وكامل يقع ضمن مظاهر مكر التاريخ. ولكن لا تزال هناك مشكلة. لم يكن وعي القومية التركية ولا وعي الأمة التركية كافيا بعد بحيث يشكل وحدة. علاوة على ذلك فقد كان ما يفهمه المركز والمقاطعات من هذه المفاهيم مختلفا بعضه عن بعض. لذا كانت هناك حاجة إلى مادة أقوى. تم العثور على المادة المطلوبة في الدين، الإسلام. وصف "ضياء غوك ألب" الإسلام بأنه أحد أهم مبادئ القومية التركية، لذلك كان ينبغي جعل جميع العناصر المسلمة

حتى حين كان المنتسبون إلى الأسرة الحاكمة يُقتلون في حركات التمرد، كانوا يُقتلون دون أن تسفك دماؤهم. على سبيل المثال، قتل الإنكشارية السلطان كنج عثمان-عثماني الثاني" عبر خنقه بحبل حتى الموت. لقد كان شرا قديما أيضا أنهم يقتلون خنقا الأطفال الصغار والرضع المنتسبين إلى الأسرة الحاكمة، ويعتقد أنهم يشكلون تهديدا للعرش.

بالطبع، كانت هناك أفكار مماثلة لهذه في أوروبا في العصور الوسطى. ربما لهذا أيضا كان هذا النوع من العنصرية، والذي كان ضد أوروبا حتى عصر التنوير، أكبر عقبة أمام تجديد الدولة نفسها وتكيفها مع متطلبات العصر بعد عصر التنوير. فقد اعتبر أولئك الذين ينتمون إلى أعراق وأديان وطوائف مختلفة داخل الإمبراطورية خطرا على

المنبعثة من الثورة الفرنسية تغطي هذه العنصرية وكانها حجاب كبير.

هذا ما نعنيه بالشر التقليدي القديم. وفقا للاعتقاد التقليدي لدى الأتراك فإن القبيلة الأعلى حسبا ونسبا من الفضائل والعشائر الأخرى هي التي تمتلك صلاحية حكم جميع الناس. وبحسب هذا الفهم الذي يسمى "القوت-طاقة الحياة" فإن هذه السلطة هبة من الإله، وهي مقدسة. وقد عزز العثمانيون أنفسهم إلى قبيلة "قاي" بسبب هذه السيادة والقداسة التي تنتقل عن طريق الدم والنسب.

اكتسبت هذه الفكرة هوية دينية سوية مع الإسلام، وراى السلاطين العثمانيون أنفسهم وكأنهم ظل الله في الأرض. ولما كانت الأسرة الحاكمة العثمانية تعتبر مقدسة، فقد كان يعتقد أن سفك دماء أفرادها سيجلب الحظ السيئ، لدرجة أنه

عن طريق توليد أفكار بديلة، أو عن طريق اتخاذ تدابير عسكرية.

ضد أفكار وحركات القومية، اعتمدت الدولة العثمانية أولا فكرة العثمانية السياسية لها، ثم الإسلام مع انفصال دول البلقان المسيحية، وأخيرا فكرة القومية التركية مع انفصال العرب المسلمين. وبعد فترة وجيزة من تطبيق المشروطية الثانية، بدأت القومية التركية تصبح سياسة الدولة، وشهدت حتى اليوم العديد من الأزمات، وتحولت إلى مجموعة واسعة من المستويات تصل إلى حد العنصرية. ومع أن جميع المعلومات الواردة في هذه الفقرة صحيحة، إلا أن الحقيقة العظيمة مغطاة في مكر التاريخ، وهي أن الدولة العثمانية كانت دولة منحصرة على نفسها، تأسست على أساس العنصرية. وكانت صورة الكفاح ضد حركات القومية



أردوغان يواظب على الانكاء على التاريخ العثماني

علي أجاكولو

مسألة كون تركيا امتدادا للدولة العثمانية أم لا، مثار جدل بين المؤرخين. أنا ممن يرون أنها امتداد للدولة العثمانية. ومن يرون أنها ليست امتدادا لها فهم أولئك الذين اندفعوا بمفهوم "مكر التاريخ" الذي قدمه لنا هيغل. والحقيقة أن كون تركيا امتدادا للدولة العثمانية لا يقتصر على المؤسسات أو أسلوب الحكم، إنها ورثت مشاكل الدولة العثمانية الزمنية، ويغض النظر عن محاولات النخسرين والإصلاح، فإن هذه المشاكل تعرضت أثناء مسارها الطبيعي لورم خبيث فولدت مشكلات جديدة. إن تقاسم الصلاحيات، والمشاركة في السلطة، ومحلات ممارسة الحرية أو التحول للديمقراطية التي تعتبر مشرطا يُستخدم في علاج المشكلات الهيكلية التي نتعرض لها بين الحين والآخر، إنما هي نتيجة لضغط خارجي، أو أنها عمليات مصطنعة ومؤقتة يتم تنفيذها بقصد حل مشكلة داخلية بدعم خارجي. ونظرا إلى أن هذه العمليات يمكن أن تصبح سياسة دولة، فقد تم تعليق هذه المحاولات الإيجابية في الفرصة الأولى، واستمر الشر التقليدي في ممارسة حكمه. كان هذا هو الحال منذ السلطان محمود، فرغم إصدار مرسوم "سند- اتفاق اي ميثاق العهد"، ومرسوم "التنظيمات"، ومرسوم الإصلاحات، والمشروطية الأولى، والمشروطية الثانية، وإعلان الجمهورية، والانتقال إلى التعددية الحزبية، واستفتاء عام 2010، تم التوقيع على مراسيم الموت، وبعد فترة قصيرة عُلق المحكومون في حبل المشنقة. بعد الثورة الفرنسية بدأت أفكار القومية تهدد الدولة العثمانية، كما فعلت بالإمبراطوريات الأخرى. فبينما كانت "الدول القومية" تتأسس في أوروبا من ناحية، اعتبرت الإمبراطوريات القومية تهديدا وخطرا بسبب بنيتها العالمية من ناحية أخرى، وحاربت القومية إما